الأبعاد السياسية في فكر فاطمة الزهراء عليها السلام

المدرس المساعد
حسنين جابر الحلو
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

الأبعاد السياسية في فكر فاطمة الزهراء عليها السلام

المدرس المساعد
حسنين جابر الحلو
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

المقدمة:ـ

تكمن أهمية هذه الدراسة عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في كونها تتناول موضوعاً مهما في الجانب السياسي للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ إذ تطرق الباحثون الإسلاميون على نحو شامل أو برؤية متكاملة لموضوع البحث الخاص بالعلاقة بين الابعاد السياسية والسيدة الزهراء عليها السلام.

ولذلك يمكن تحديد أهمية الدراسة في كونها محاولة لاكمال سير هذه الدراسات الإسلامية ومحاولة لإماطة اللثام عن الحقائق والتفسيرات والتحليلات الواقعية عن سيرة الزهراء عليها السلام.

و عن طبيعة العلاقة القائمة بين الابعاد السياسية والسيدة الزهراء عليها السلام عبر الوقوف عليها من خلال تحليل محتويات بعض جوانب الرؤية الإسلامية ومكوناتها، ويمكن أن نوجز أهمية الدراسة بالنقاط الآتية:

أولاً: إن هذه الدراسة تحاول الوقوف عند الجذور التاريخية الإسلامية والدينية للعلاقة بين الابعاد السياسية والسيدة الزهراء عليها السلام وذلك عبر تحليل تلك المراحل الزمنية والتاريخية والإسلامية الدينية من خلال تقصي الحقائق والوقائع المتعلقة بها في ضوء الدراسة السوسيولوجية لها.

ثانياً: تتمثل معطيات هذه الدراسة في كونها تبحث في أساسيات الأبعاد

السياسية التي تحدثت عن أسس ومحددات النظرة وأسلوب تعامل الأحداث التي حدثت مع الزهراء عليها السلام.

ولابد أن نقول بأن هذه الدراسة كانت ذات مبحثين:

الأول: عن حياة الزهراء في ظل أجواء مختلفة.

الثاني: الأبعاد السياسية عند الزهراء عليها السلام.

حياة الزهراء عليها السلام في ظل أجواء مختلفة.

البعد الروائي الذي ينقل لنا سيرة الزهراء عليها السلام وولادتها مختلف فيه إذ تؤكد الروايات في تحديد ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام، فيبلغ أحياناً الفارق في عمرها (على اعتبار الفرق بين الروايات) عشر سنين أو أكثر بقليل، وعند استعراض تلك الروايات نجد ان بعضهم يقول بولادتها قبل البعثة النبوية بخمس سنين[١]، وهو الرأي الثابت عند أهل السنة حيث يقولون أنها ولدت وقريش تبني البيت يوم حكم رسول الإسلام محمد بن عبد الله في نزاع حول من وضع الحجر الأسود في مكانه.

على أن علماءنا ومؤرخينا ينقلون تبعاً لأئمتنا عليهم السلام[٢] أنها ولدت بعد البعثة بخمس سنوات[٣] في أول شهر جمادى، ومنهم: المجلسي والطبرسي والكليني والإربللي والنيسابوري والشيخ الصدوق في تاريخ الأئمة برأي وافق فيه علماء أهل السنة في أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات وقريش تبني البيت الحرام أو الكعبة[٤].

فبينما يكاد علماؤنا الشيعة يجمعون على أن عمرها عند وفاتها كان ١٨ عاماً، يرى أغلب أهل السنة ومنهم ابن عبد البر أن عمرها كان عند الوفاة ٢٩ عاماً، غير أن هناك اتفاقاً على أن فاطمة كانت أصغر بنات رسول الإسلام محمد بن عبد الله.

وعلى جانب آخر تقول بعض الروايات الشيعية أن خديجة بنت خويلد ما كانت تشعر بثقل حملها وكانت تكلّم فاطمة وهي جنين لتؤنسها وتسلّيها[٥].

لفاطمة بنت محمد مكانة عظيمة عند المسلمين وذلك لأن مقامات الأنبياء والأوصياء والأولياء، ودرجات فضلهم قد سمت وتفاوتت بدرجات تفاوت معرفتهم بذلك كله[٦]؛ فتجمع على أن لها شأن عند الله يفوق كل نساء العالم، وأنها سيدة نساء العالمين وفقاً للمنظور الإسلامي ولا يشاركها تلك المكانة سوى القليل من النساء مثل مريم بنت عمران على سبيل المثال مع أنهم يؤمنون أيضا أن مريم من أفضل نساء عالمها[٧]، إذ إن موقع الزهراء عليها السلام من الشريعة الإسلامية هو موقع المعصوم الذي يكون قوله وفعله حجة علينا بشكل عام[٨]، طبقاً للمنظور الإسلامي، وهي في المرتبة الثالثة من حيث المكانة بعد أبيها محمد وعلي بن أبي طالب. أما من المنظور السني ففاطمة بنت نبيهم وسيدة نساء العالمين، وترجع أفضليتها لأنها من أكثر من عانى وقاسى مع أبيها محمد؛ وكانت هي الراعية له على الرغم من صغر سنها وقسوة الظروف المحيطة بها، ولكنهم لا يعتقدون بعصمتها أو إمامة زوجها وذريتها وإن كانوا جميعاً ذوي مكانة عظيمة وفقاً لمعتقد أهل السنة والجماعة.

ولعلّ لأسمائها أثر كبير لدى المسلمين، فاطمة عليها السلام: لأن الله قد فطم من أحبها من النار.

الزهراء عليها السلام: لأن نورها زهر لأهل السماء.

الصديقة عليها السلام: لأنها لم تكذب قط.

المباركة عليها السلام: لظهور بركتها.

الزكية عليها السلام: لأنها كانت أزكى أنثى عرفتها البشرية.

المرضية عليها السلام: لأن الله سيرضيها بمنحها حق الشفاعة.

الحانية عليها السلام: لأنها كانت تحن حنان الأم على أبيها النبي وبعلها وأولادها عليهم السلام والأيتام والمساكين.

الكوثر عليها السلام: كما سماها الله جلّ وعلا في القرآن في سورة الكوثر.

الحوراء عليها السلام: لأن النبي قال هي الحوراء الإنسية (ولأن نطفتها تكونت من ثمار الجنة).

البتول عليها السلام: لأنها تبتلت عن دماء النساء.

ومن اللواتي كن معها: أسماء بنت يزيد الأنصاري - أم سلمة - فضة - معاذة أم سعد بن معاذ - صفية بنت عبد المطلب أم أيمن ونساء المهاجرين والأنصار.

وفي زوجها وزواجها: عن جابر بن عبد الله قال: لما زوج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليه السلام كان الله تعالى مزوجه من فوق عرشه وكان جبرائيل الخاطب وكان ميكائيل وإسرافيل في سبعين ألفاً من الملائكة شهوداً، وقال صلى الله عليه وآله: إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم إلاّ فاطمة فإن تزويجها نزل من السماء وكان بين تزويج فاطمة في السماء وبين تزويجها في الأرض أربعون يوماً وكان مهرها من علي عليه السلام ٤٨٠ درهماً وكان لها من العمر ٩ سنوات سلام الله عليها، وزوجها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام وقائد الغر المحجلين والعروة الوثقى وسيد قريش وضرغامها.

أنها سلام الله عليها لم تتزوج غير أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنجبت منه: سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وأم المصائب زينب عليها السلام وأم كلثوم الصابرة ومحسن الصغير أسقطته بعد الهجوم على دارها ومحاولة إحراقها.

عن أبي بصير: وكان سبب وفاتها أن قنفذا مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ولم تدع أحداً ممن

آذاها يدخل عليها ووجدت عليهم إلى أن توفيت.

وفي رواية أخرى: أخذت فاطمة عليها السلام باب الدار ولزمتها عن ورائها فمنعتهم عن الدخول فضرب عمر برجله على الباب فقلعت فوقعت على بطنها فسقط جنينها المحسن فمرضت منها وماتت منها. وفي دلائل الإمامة للطبري: أن عمر بن الخطاب هجم مع ٣٠٠ رجل على بيتها عليها السلام وقال المسعودي: لما قبضت عليها السلام تألم تألماً شديداً واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وبعد أن كفنها علي عليه السلام بسبعة أثواب وقبل، يعقد الرداء عليها نادى: يا أم كلثوم يا زينب يا فضة يا حسن يا حسين هلموا وزودوا من أمكم الزهراء فهذا الفراق واللقاء في الجنة فأقبل الحسنان عليهما السلام يقولان: واحسرتاه لا تنطفئ من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا الزهراء إذا لقيت جدنا فأقرئيه منا السلام وقولي له: إنا بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا فقال علي عليه السلام أشهد أنها حنت وأنت ومدت يديها وضمتهما إلى صدرها ملياً وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن ارفعهما فلقد أبكيا والله ملائكة السماء فرفعهما عنها وعقد الرداء عليها وصلّى عليها ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعقيل وعمار وسلمان والمقداد وأبو ذر ودفنها في بيتها وكان لها من العمر آنذاك ١٨ سنة، واما بشأن قبرها فقد أخفاه علي عليه السلام بأمرها ثم أنه سوى في البقيع سبعة قبور أو أربعين قبراً، ولما عرف عمر بن الخطاب دفنها وفي البقيع قبور جدد أشكل عليهم الأمر فقالوا: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور لنخرجها ونصلي عليها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام فخرج مغضباً عليه قباؤه الأصفر الذي يلبسه عند الكريهة وبيده سيف ذو الفقار وهو يقسم بالله: لئن حول من القبور حجر ليضعن السيف فيهم فتلقاه عمر بن الخطاب ومعه أصحابه فقال له: مالك والله يا أبا الحسن لننبشن قبرها ونصلي عليها !!! فأخذ علي عليه السلام بمجامع ثوبه وضرب به الأرض وقال له: يا ابن السوداء أما حقي فتركته مخافة أن يرتد

الناس عن دينهم، وأما قبر فاطمة فوالذي نفسي بيده لئن حول منه حجر لأسقين الأرض من دمائكم، وجاء أبو بكر وأقسم عليه برسول الله صلى الله عليه وآله أن يتركه فخلى عنه وتفرق الناس.

الأبعاد السياسية رؤية تاريخية:

وهناك جانب عظيم لابد أن نأخذه بنظر الاعتبار في قضية الأسوة، وهو موقف الزهراء عليها السلام السياسي من قضية الإسلام، والخط الأصيل للإسلام، فلم تكن معزولة عن حركة المجتمع، وكذلك عن الحركة السياسية، وقضايا الحق والعدل والظلم، بل كانت تشارك مشاركة حقيقية، حسب ما قدر لها، وعندما تقتضي الحاجة والضرورة فإنها تساهم بدرجة بحيث تتعرض للآلام والأذى[٩] لفاطمة بنت محمد مكانة عظيمة عند المسلمين بشتى طوائفهم؛ فتجمع على أن لها شأن عند الله يفوق كل نساء العالم، وأنها سيدة نساء العالمين وفقاً للمنظور الإسلامي ولا يشاركها تلك المكانة سوى القليل من النساء مثل مريم بنت عمران على سبيل المثال مع أنهم يؤمنون أيضا أن مريم من أفضل نساء العالمين وأتقاهن[١٠]، وتستمد فاطمة مكانتها عند الشيعة من أنها أم الأئمة المعصومين لديهم، ولديهم الكثير من الروايات التي تبين مكانتها وأفضليتها عن كل النساء، فبعض المصادر الشيعية تروي أنها ولدت بعد أن أكل والدها تفاحة من الجنة فصارت نطفة في صلبه وكانت هي من هذه النطفة، وروايات أخرى تذكر أن أفضل نساء العالمين - طبقاً للمنظور الإسلامي - أتين لتوليد خديجة من العالم الآخر تكريماً للزهراء[١١].

تعددت الأقوال والروايات حول ميراث فاطمة عليها السلام ؛ ففي حين نرى نحن الشيعة أن أرض فدك من حق فاطمة كميراث شرعي[١٢]، وأن تمسك أهل السنة بأن الأنبياء لا يورثون وأن ما تركوه صدقة ويستشهدون بحديث الرسول

((لا نورث، ما تركنا صدقة، فهو الرأي الذي استند له أبو بكر حين كان خليفة المسلمين وعمر بن الخطاب، وأن فاطمة وزوجها علي استمسكا بالرأي القائل بأنه حقها، لذلك سميت مظلومية الزهراء لأن فاطمة توفيت وهي غاضبة على أبو بكر وعمر مستشهدين بأحاديث وروايات من عند أهل السنة أنفسهم كرواية البخاري في صحيحه عن عائشة بنت أبي بكر.

بينما يرى أهل السنة والجماعة أن حديث قول النبي: ((لا نورث ما تركنا فهو صدقة)) لم ينفرد به أبو بكر وإنما رواه أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم[١٣]، وأن المال الذي خلفه النبي لم يجعله أبو بكر الصديق لنفسه ولا لأهل بيته وإنما هذا المال هو صدقة لمستحقيها، وأن عمر قام بتسليم هذا المال إلى علي والعباس يفعلان فيه ما كان النبي يفعله وأن يجعلانه صدقة[١٤]، وأن علياً لما ولي الخلافة لم يغيرها عما عمل فيها في عهد الخلفاء الثلاثة ولم يتعرض لتملكها ولا لقسمة شيء منها بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها[١٥]، وإنه لم يثبت عن فاطمة أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه، كما يرى أهل السنة والجماعة أن في كتب الشيعة حديث (إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم) صحيح كما بيّن ذلك المجلسي وغيره، لذلك كانت ردة فعل الزهراء عليها السلام من زاوية الفهم الشيعية، أو بوصف أدق من زاوية الرؤية العقيدية المستحكمة عند الاثني عشرية منهم، كانت ردة على الأمة المستسلمة للتبرير، المتخلية عن بصرها وبصيرتها أمام الخديعة المصلحية التي يستفيد منها ولاة الجور، بقدر ما كانت ردة على الغاصبين الأوائل، وهي تراهم قد غصبوا كل الحق بأخذ الخلافة من غير استحقاق لذلك لم تكن فدك إلاّ مفتاحاً للدخول في حلبة المعارضة والانتفاضة[١٦].

فلعن الله مغتصبي حق فاطمة عليها السلام في الدنيا والآخرة.

هوامش البحث

(١) العاملي، مأساة الزهراء،ص٣٦.
(٢) ابن الأثير، جامع الأصول، ج١٢، ص٩ و ١٠.
(٣) الحكيم، د. حسن، فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب، ص٢٦.
(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص٥١.
(٥) العاملي، مأساة الزهراء، ص
(٦) م.ن. ص٤٣.
(٧) علل الشرائع، ج١، ص١٨٢.
(٨) الحكيم، الشهيد محمد باقر، فاطمة الزهراء، ص٦٠.
(٩) م.ن. ص٢١.
(١٠) ميرزا، آل عصفور، نهجنا في الحياة على مذهب آل البيت.
(١١) ينابيع المودة، ص١٩٨.
(١٢) أبي حاتم، العلل، ج٣، ص٤٤.
(١٣) صحيح البخاري.
(١٤) القرطبي، المفهم، ج٣، ص٥٦.
(١٥) البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص٣٠١.
(١٦) فرج الله، د. عبد المجيد، فدك ابعادها ودلالاتها وامتدادتها، ج١، ص٨٨.